(تتمة ما سبق في الاجزاء الماضية من كتاب تهذيب الاخلاق)

فاما الملوك والرؤساء فانهم احق بهذه السياسة ، ويجب ان يكونوا بذلك اشد عناية ، فيجبوا الاموال من حقها وواجباتها (١) ، ويصرفوا منها في نفقاتهم ومؤوناتهم ، وارزاق جندهم واصحابهم ، قدر الكفاية من غير سرف ولا تقتير ، ويعدوا منه شطراً لخوف عاقبة ، ويصرفوا (٢) الباقي في طرق الكرم والجود ، ووجوه الخير والبر ، فيعطوا اهل العلم على طبقاتهم ، ويجعلوا لهم رواتب من خواص اموالهم ، ويدفعوا لمن هو مثابر على العلم والادب ، ويبروا الضعفاء والمساكين ، ويتفقدوا الغرباء (والمنقطعين) ، ويهتموا بالزهاد واهل النسك ، ويخصوهم بقسط من إفضالهم وانعامهم ، ويعنوا بالصغير والكبير من رعيتهم ، وينفقوا في مصالحهم شطراً من اموالهم . فان الملوك اولى بالكرم من الرعية وأحق بالجود من العامة

وقد يستحسن ايضاً من المقلين والمقترين ، المؤاساة بالمال والايثار به ، وان كانوا محتاجين اليه وكلما كانت حاجاتهم اشد كان ذلك الفعل احسن (٣) .

وهذه الحال تستحسن اذا رأى الرجل اخاً من اخوانه ، او صديقاً من اصدقائه (يختص به) ، قد دعته الحاجة الى ما لا يقدر عليه لاصلاح شيء من شأنه ، او لدفع محنة نزلت به ، وكان هو قادراً على ذلك القدر من المال ، فيبتديء (حينئذ) باسعافه عفواً من غير مسألة وان فعل هذا الفعل مع

(١) في نسخة : ووجهها (٢) في الاصل : ويصرف (٣) في نسخة : الفعل حسناً منهم

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الغريب الذي لا يعرفه، ولم تسبق له حرمة ولا مودة، كان جميلاً مستحسناً.

وينبغي لمحب الكمال ان يشعر نفسه ان الغضبان بمنزلة البهائم والسباع، يفعل ما يفعله من غير علم ولا روية. فاذا جرى بينه وبين غيره محاورة أدت الى ان يغضب خصمه، ويسفه عليه، اعتقد فيه انه في تلك الحال بمنزلة البهائم والسباع، فيمسك عن مقابلته، ويحجم عن الاقتصاص منه، الا يعلم ان الكلب لو نبح عليه لم يكن يستجيز مقابلته على نبحه، وكذلك البهيمة لو رمحته لم تستحسن عقوبتها، لانها غير عالمة بما تصنعه، الا ان يكون جاهلاً سفيهاً فان من السفهاء من يغضب على البهيمة اذا رمحته، ويوجعها ضرباً اذا آذته، وربما عثر السفيه فشتم موضع عثرته ورفسها برجله.

فاما الحليم الوقور فلا يستحسن شيئاً من ذلك، واذا استشعر من خصمه انه بمنزلة البهائم (حال الغضب) صار هذا الاستشعار منه طريقاً الى ضبط النفس الغضبية وزمّها، فان آذاه مؤذٍ بغير سفه، فيؤدي ذلك الاذى الى حال تغضبه، أنف ايضاً من الغضب مع استشعاره ان الغضبان والبهيمة سواء، فيعدل حينئذٍ الى مقابلة مؤذيه بما يقتضيه الرأي (السليم) من حيث لا يظهر فيه غضب ولا سفه.

وينبغي لمحب الكمال ايضاً ان يعود نفسه محبة الناس اجمع، والتوددا اليهم، والتحنن عليهم، والرأفة والرحمة لهم، فان الناس قبيل واحد متناسبون تجمعهم الانسانية وحلية (١) القوة الالهية هي في جميعهم وفي كل واحد

(١) في الاصل تحلية

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

منهم وهي النفس العاقلة . وبهذه النفس صار الانسان انسانًا ، وهي اشرف جزئي الانسان اللذين هما النفس والجسد ، فالانسان بالحقيقة هو النفس العاقلة ، وهي جوهر واحد في جميع الناس ، والناس كلهم بالحقيقة شيء واحد ، وبالاشخاص كثيرون

واذا كانت نفوسهم واحدة ، والمودة انما تكون بالنفس ، فواجب ان يكونوا كلهم متحابين متوادين ، وذلك في الناس طبيعة ، لو لم تقدهم النفس الغضبية فان هذه النفس تحبب لصاحبها الترؤس فتقوده الى الكبر والاعجاب ، والتسلط على المستضعف ، واستصغار الفقير ، وحسد الغني ، وبغض ذوي الفضل ، فتتسبَّب(١) من اجل هذه الاسباب العداوات ، وتتأكد البغضاء بينهم

فاذا ضبط الانسان نفسه الغضبية ، وانقاد لنفسه العاقلة ، صار الناس كلهم له اخوانًا واحبابًا ، واذا أعمل الانسان فكره رأى ان ذلك واجب لان الناس اما ان يكونوا فضلاء او نقصاء ، فالفضلاء يجب عليه محبتهم لموضع فضلهم ، والنقصاء يجب عليه رحمتهم لاجل نقصهم

فيحق (٢) لمحب الكمال ان يكون محبًا لجميع الناس ، متحننًا عليهم ، رؤوفًا بهم ، وخاصة الملك والرئيس ، فان الملك ليس يكون ملكًا ما لم يكن محبًا لرعيته رؤوفًا بهم . وذلك ان الملك ورعيته بمنزلة رب الدار واهل داره ، وما اقبح رب الدار ان يبغض اهل داره ، ولا يتحنن عليهم ، ولا يحب مصالحهم .

---

(١) في نسخة : فتنشأ (٢) في نسخة : فيحق يجب لمحب الكمال

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة
www.alukah.net

وينبغي لمحب الكمال ان يجعل همته فعل الخير مع جميع الناس وانفاق ما يفضل من ماله فيما يبقي له الذكر الجميل بعد موته ، ويتحرز من فعل الشر فانه اذا حاسب نفسه ، علم ان من يفعل الشر انما يفعله لخير يعتقد انه يصل اليه بذلك الشر وربما كان غلطاً وربما كان مصيباً . واذا علم ان الامر على هذه الصفة ، كان واجباً ان يطلب الخير الذي يرومه من طريق غير طريق التشرر (١) ، اذا كان هو الغرض المطلوب لا فعل الشر

فاما ان كان تشرره لشفاء غيظ يلحقه ، فليعلم انه اذا سكن غيظه وجد ذلك المقصود بالشر غير مستحق لذلك الفعل ، ففعل الشر قبيح ، وخاصة بمن قد جمع (٢) الفضائل ، الا ان يكون ذلك الشر تأديباً على جرم ، أو اقتصاصاً من جان ، فان هذه الحال مستحبة محمودة ، بل لا تعد شراً لان ذلك الشر انما يصل الى الجاني فقط ، ويكون منه نفع عام لجميع الناس بان يرتدع به امثاله من الجناة ، فتكون المنفعة فيه اكثر ، فمن اجل ذلك لا يعد شريراً (٣)

واذا اعتمد الانسان فعل الخير وألفه ، وتجنب الشر واستوحش منه ، أنف من الاخلاق المكروهة التي تعد شراً ، كالحسد ، والحقد ، والخبث ، والخديعة ، والنميمة ، والغيبة ، والوقيعة ، وامثال هذه العادات . واذا فكر العاقل المحصل فيها ، علم انها غير مجدية عليه نفعاً ، وهي مع ذلك تشينه وتقبح سيرته ، واذا كان محباً للتمام ، مستشرفاً للكمال ، كان واجباً عليه

---

(١) تشرر تكلف الشر (٢) ح : جمع بين الفضائل والعلم (٣) خ : شراً (٢)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

تجنب هذه الاخلاق (المذمومة)

وينبغي لمحب الكمال ان يعتقد انه ليس شيءٌ من العيوب والقبائح خافياً عن الناس ، وان اجتهد صاحبها في سترها ، فلا تطمع نفسه في ارتكاب فعل قبيح يظن انه يكتم عن الناس حتى لا يقف عليه احد

ويجب ان يعلم ان الناس بالطبع موكلون بتتبع عيوب الناس وتعييرهم بها ، وذلك في الناس غريزة ، والسبب فيه ان الانسان ما لم يبلغ التمام ، فليس يخلو من تقصير يعاب به ، و يسوءه ان يكون غيره افضل منه ، فهو يسر ان تكون الناس كلهم نقصاء ليساووه في النقص فهو ابداً يتبع معايب الناس و يعيرهم بها ليريَ الناس انه افضل ممن فيه ذلك العيب ، و يشعر نفسه ايضاً ذلك لتطيب بما فيها من العيب ، فليس شيءٌ من العيوب بخاف عن الناس وان اعتمد سترَه .

وقد يظن كثير من الملوك والروَّساء ان عيوبهم مستورة عن الناس غير بادية ، وذلك لموضع هيبتهم ، وعظم سطوتهم ، و يستشعرون ان حاشيتهم وخواصهم لا يجسرون على اظهار اسرارهم ، ان وقفوا على شيءٍ منها . وهذا نهاية الغلط لان خواص الملك وحاشيته كما انهم عنده ثقات امناء ، كذلك لكل واحد منهم خاص وثقة يخرج اليه باسراره ، والذي لا يستر اسرار نفسه فمحال ان يستر عنه اسرارهُ غيره .

وهذه الحال طريقة الى انتشار معايب الملوك الذين يظنون انها مستورة ، والعلة في ظنهم ان عيوبهم مستورة ، هو انهم لا يسمعون احداً

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

يذكرها ، ولا احداً يتنصح اليهم بها ، فيظنون انها خفية . فاذا احب الانسان ان يعلم ان عيوبه غير خافية ، فليعد الى نفسه فينظر هل يعرف لاحد عيباً كان يستره و يخفيه ، فانه يجد للناس عنده عيوباً كثيرة قد اجتهدوا في سترها ، وحرصوا على صونها . ومنهم من يظن انها خفية . ومنهم من يعلم انها قد انتشرت بعد الستر فاذا علم انه عارف باسرار كثير من الناس كانت مستورة فالواجب ان يعتقد ان عيبه غير خاف ولا منكتم وان الناس يعرفون من عيوبه اكثر مما يعرف هو من عيوبهم .

فينبغي لمن احب الكمال ان يعتقد ان عيوبه ظاهرة وان اجتهد في اخفائها وليس بتام من عُرف له عيب ولا طريق الى التمام الا باجتناب العيوب بالكلية والتمسك بالفضائل في سائر الامور وهذه الرتبة غاية تمام الانسانية ونهاية الفضيلة البشرية وواجب على كل انسان الاجتهاد في بلوغها واستفراغ الوسع في الوصول اليها لان التمام مطلوب لذاته والنقص مكروه لعينه .

وأحق الناس بطلب هذه المرتبة وأولاهم بالتحمل (١) لبلوغ هذه المنزلة الملوك والرؤساء لان الملوك والرؤساء اشرف الناس واعظمهم قدراً وما اقبح بالشريف العظيم القدر ان يكون ناقصاً فالملوك اذاً ينبغي ان يكونوا اشد الناس حرصاً على بلوغ الكمال لان الكامل من الناس الجامع للفضائل متوثب (٢) بالطبع على الناقص من الناس فالانسان التام رئيس بالطبع

(١) خ : التجمل (٢) خ : مترتب

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(و) اذا كان الملك تاماً جامعاً لمحاسن الاخلاق محيطاً بجميع المناقب كان ملكاً بالطبع واذا كان ناقصاً كان ملكاً بالقهر وما أولى بالملك ان يرغب في الرئاسة الحقيقية لا بالتي تكون بالقهر و بالشرف الذاتي لا ما هو بالوضع . فالواجب ان يصرف الملك همته الى اكتساب الفضائل واقتناء المحاسن و يطلب الغاية من المكارم و يستصغر الكبير منها حتى يحوز جميعها ولا يرضى بالنهاية حتى يزيد عليها فانه ان رضي برتبة فوقها رتبة لم يصر ابداً الى التمام وان ابعد الناس من التمام من رضي لنفسه بالنقصان فاذا طلب الملك الكمال فاول ما يجب ان يعتاده عظم الهمة فان عظم الهمة تصغر (١) في عينه كل رذيلة وتحسن له كل فضيلة

واذا عظمت همة الملك سلم من الاعجاب بملكه ورأى نفسه وهمته اعظم قدرا من ان يستكثر ذلك الملك واذا احتقر الملك ملكه الذي به عزه وعظمته طلب لنفسه ما يعظمها بالحقيقة وليس تعظم النفس الا بالفضائل

ثم ينبغي له ان يكره المَلَق و يبغض المتملقين و ينهاهم عن تلقيه به

وملاك امره ان يتعرف عيوبه حتى يمكنه توقيها والتحرز منها وهو ابداً في الملوك صعب لان الانسان بالطبع يخفى عليه كثير من عيوبه فالذي يخفى على الملوك اكثر لاعجابهم بمحاسنهم وعظم مرتبتهم

وايضاً فان الرعية والسوقة يبكتون بعيوبهم و يعيرون بها فهم يعرفونها والملوك لا يجسر احد على تبكيتهم ولا يقدم احد على نصحهم وتبكيتهم على

(١) خ : تشنع

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

عيوبهم لان الناس اجمع يقصدون التقرب الى الملوك وتملقهم فلا يقولون لهم الا ما يحبون لينالوا الحظوة عندهم . فعيوب الملوك ابداً خفية عنهم .

وينبغي للملك اذا احب ان يتنزه من العيوب و يتطهر من دنسها ان يتقدم الى خواصه وثقاته ومن كان يسكن الى عقله وفطنته من خدمه وحاشيته فيأمرهم ان يتفقدوا عيوبه ونقائصه و يطلعوه عليها و يعلموه بها .

وينبغي له ان يتلقى من يهدي اليه شيئاً من عيوبه بالبشر والقبول و يظهر له الفرح والسرور بما اطلعه عليه بل المستحسن منه ان يجيز الذي يوقفه على عيوبه اكثر مما يجيز المادح على المدح والثناء الجميل و يشكر من ينبهه على نقصه ويتحمل لومته بفعله فانه اذا لزم هذه الطريقة وعرف بها يسرع اصحابه وخواصه الى تنبيهه على عيوبه واذا نبه على ما فيه من النقص أنف منه واستشعر ان اولئك سيعيرونه به و يصغرونه من اجله فيلزمه حينئذ ان يأخذ نفسه بالتنزه من العيوب و يقهرها على التخلص من دنسها .

فاذا فعل ذلك وتوفر على اقتناء الفضائل والزم نفسه التخلق بالمحاسن ولم يرضَ من منقبة الا بغايتها ولم يقف عند فضيلة الا وطلب الزيادة عليها واجتهد فيما يحسن سياسة نفسه عاجلاً و يبقي له الذكر الجميل آجلا لم يلبث ان يبلغ الغاية من التمام و يرتقي الى النهاية من الكمال فيحوز السعادة الانسانية والرئاسة الحقيقية و يبقى له حسن الثناء مؤبداً وجميل الذكر مخلداً

فقد اتينا على صفة الانسان التام الجامع لمحاسن الاخلاق والطريقة التي تؤديه الى هذه الرتبة وتحفظ عليه هذه المنزلة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وقدمنا ما ينبغي تقديمه من سياسة الاخلاق وتهذيب النفوس فما أولى من نظر في هذا القول وتصفحه وفهم مضمونه وتدبره ان يأخذ نفسه باستعمال ما بيّن من فصوله و يسوس اخلاقه بالتطرق الى الذي قُنن في نضاعيفه (١) و يجتهد كل الاجتهاد في تكميل نفسه و يستفرغ غاية الوسع في طلب تمامه فما اقبح النقص بالقادر على التمام والعجز من المستعد لنيل الكمال.

وهذا حين نختم القول في تهذيب الاخلاق (٢) والحمد لله حمد الشاكرين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً (ا هـ)